
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية
Eissn : ...–.... Issn : 2353–043X
المجلد 07/ العــدد 01: (2020)، ص: 66- 81

من ظواهر الإعجاز الصوتي للفاصلة القرآنية

الأستاذة: رقاز رقية
جامعة الجزائر 01- يوسف بن خدة- الجزائر

الملخص:

تضافرت جهود العلماء قديما وحديثا في تتبع الظواهر اللغوية الموجودة في القرآن الكريم، والوقوف على أوجه إعجازه، وبيان جمال نظمه. ومن بين المباحث البيانية اللطيفة التي استهوتهم مبحث الفاصلة القرآنية، وجاءت الدراسة للتعرف على مفهومها والإعجاز الصوتي فيها في مطلبين:

أولا: العدول الصوتي.

الثاني: التكرار الصوتي.

الكلمات المفتاحية: الفاصلة القرآنية، العدول الصوتي، التكرار

Summary

The efforts of scholars, in the past and present, have joined forces in tracing the linguistic phenomena found in the Holy Qur'an, identifying aspects of its miracles, and demonstrating the beauty of its structur. Among the graphic themes that attracted them to the topic of the Qur'anic comma. The study came to know its concept and the phonemic miracle in it in two topics:

First: phonitic rejection. The second: phonitic repetition

Key words: Quranic comma, phoneme, repetition.

المؤلف المرسل: الأستاذة: رقاز رقية

مقدمة:

بسم الله فاصل الحق عن الباطل، الباعث في الأميين بشرا رسولا، يتلو قرآنا أعجز شعراء فحولا، أحمده حمدا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، وأستعينه وأستغفره وأستهديه، وأصلي وأسلم على نبيه محمد الذي بلغ كتاب ربه، وعلى آله وصحبه.

أما بعد،

القرآن الكريم كنز لا يفنى ولا تنقضي عجائبه، يجود بدرره على من حاول الغوص في أعماقه، كلما قلبت صفحاته بهرتك آياته، وكلما أمعنت النظر في سوره أدهشتك عجائبه، وكلما تدبرت أساليبه أسرك بيانه. فهو المعجزة الخالدة التي لا يملها العلماء، كلما تعمقوا في أسراره وظنوا أنهم بلغوا آخره اكتشفوا أنهم يقفون على شاطئه.

أُنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين تبيانا لكل شيء. يسره الله للذكر والهداية، وتكفل بحفظه وإبلاغه لجميع خلقه، فلم يختص الخطاب القرآني بقوم دون غيرهم، ولم يوجه حصرا لدعوة المؤمنين، متضمنا منهج الدعوة الإسلامية وأساليبها، ليحمل المسلمون مشعل التبليغ على المنهج الرباني.

إن البحث في إعجاز القرآن الكريم شغف العلماء والباحثين قديما وحديثا، وحظيت الفاصلة القرآنية بنصيب وافر من جهودهم منذ أن كانت مجرد إشارات في كتب علوم القرآن إلى أن استقلت بالتأليف ودخلت البحث الأكاديمي. وقد درست من عدة جوانب أبرزها الجانب الصوتي.

إشكالية البحث:

تكمن مشكلة البحث في سر وفرة البحوث في الإعجاز الصوتي للفاصلة القرآنية دون غيره من أوجه الإعجاز، وعليه كان السؤال المحوري للدراسة:

- ما هي ظواهر الإعجاز الصوتي للفاصلة القرآنية؟

ولتتسنى لنا الاجابة على الاشكالية نمر أولا بطرح بعض الأسئلة الجزئية:

- ما هو العدول الصوتي؟
- هل في القرآن الكريم تكرار مذموم؟

هذه التساؤلات استوقفتني للتفكير في موضوع هذه الدراسة وتقديمه في مطلبين:

1- المطلب الأول: العدول الصوتي

2- المطلب الثاني: التكرار الصوتي

وتوجت الخاتمة بما توصلت إليه من نتائج، وضمنتها مجموعة من التوصيات المعينة على التوسع في هذا الميدان.

تعد الفاصلة القرآنية إحدى المباحث اللطيفة التي استهوت العلماء، ودار في فلك محاورها المفسرون واللغويون والبلاغيون، فضلا عن علماء الكلام. واستهوى أثرها أرباب الإعجاز، مستدلين بها على عظمة القرآن الكريم.

يرى زغلول سلام[1] (1434ه) أن الرماني (384ه) هو أول من قال بنظام الفاصلة في القرآن ليبتعد بها عن السجع والقافية في الشعر، ويقصرها على نظم القرآن[2].

وقد اتفق معه الباقلاني (402ه) في شطر من تعريفه ولم يزد على قول الرماني شيئا من تفسير أو إيضاح فقال أن الفواصل «حروف متشاكلة في المقاطع

---

[1]) محمد زغلول سلام (2013)، مفكر مصري. من أبرز مؤلفاته: أثر القرآن في تطور النقد والبلاغة، الأدب في العصر الأيوبي. بالإضافة إلى مجموعة من الأبحاث التي قدمت في المؤتمرات الثقافية منها: في تاريخ البلاغة- مجلة فصول القاهرية، الأماكن في الشعر الجاهلي- مؤتمر تاريخ الجزيرة العربية بالرياض. (ينظر، جريدة الرياض: السبت 17 اكتوبر 2015. العدد: 17281)

[2]) ينظر، محمد زغلول سلام: (**أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع هجري**). تق: محمد خلف الله أحمد. مكتبة الشباب- مصر. ط: 01 . د/ت . ص: 242

توجب حسن إفهام المعنى»[3]. وأضاف الرماني إلى تعريفه تفصيلا فقال الرماني: «... والفواصل بلاغة والأسجاع عيب؛ وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها»[4]. وهذا يدل على أنه عدَّ «فواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة؛ لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يُحتاج إليها، في أحسن صورة يدل بها عليها. والفائدة في الفواصل دلالتها على المقاطع وتحسينها الكلام بالتشاكل»[5].

أما أبو عمرو الداني (444هـ)، فيرى أن موضع الفاصلة عنده آخر الجملة باعتبار أن الآية الواحدة قد تتكون من عدة جمل فقال: «الكلام المنفصل مما بعده، والكلام المنفصل: قد يكون رأس آية وغير رأس. وكذلك الفواصل يكن رؤوس آي وغيرها. وكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية»[6].

وفئة ثالثة رأت أنها كلمة آخر الآية، فقد جاء في لسان العرب «وأواخر الآيات في كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر... واحدتها فاصلة»[7].

باستقراء ما سبق نلاحظ أن الدلالتين اللغوية والاصطلاحية تتقاطعان عند الحاجز بين الشيئين؛ فهي تفصل ما هي فيه عما بعده وعندها يتم المعنى. ثم إن التعريفات الاصطلاحية تشترك في نقاط أساسية، يمكننا عن طريق التوفيق بينها صياغة تعريف جامع يكون الأقرب إلى المعنى، وهو أن الفاصلة: **حروف متشاكلة**

---

[3]) الرماني أبو الحسن علي بن عيسى بن عبد الله ، الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، الجرجاني ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد: (**ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**). تح: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام. دار المعارف- القاهرة، مصر. ط: 03. د/ت. ص: 97

[4]) الرماني، الخطابي، الجرجاني، المرجع السابق. ص: 97

[5]) جمال محمود أبو حسان، (**الدلالات المعنوية لفواصل الآيات القرآنية**: دراسة في بيان القرآن الكريم وإعجازه) تق: فضل حسن عباس. دار الفتح للدراسات والنشر. ط:01، 1431هـ- 2010م. ص: 86

[6]) الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله: (**البرهان في علوم القرآن**). تق: محمد محمد تامر. شركة القدس للنشر والتوزيع- القاهرة. ط: 01، 2016م. ج:01. ص: 50

[7]) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري: (**لسان العرب**) دار صادر- بيروت. د/ط. د/ت. مادة: (ف، ص،ل). ج: 11. ص: 524

في المقاطع، تقع عند الاستراحة بالخطاب، لتحسين الكلام بها كقافية الشعر وقرينة السجع، توجب حسن إفهام المعنى، وبها يحصل تنزيه كلام الله تعالى عن الاعتباط والعبث والتكلف.

المطلب الأول: العدول الصوتي

لغة: تحمل مادة (ع، د، ل) في معناها المعجمي معنيين متقابلين: الاستواء والاعوجاج(8). يقال: «عدلت الشيء أقمته حتى اعتدل»(9). وهذا ما اتفقت عليه أغلب المعجمات العربية.

اصطلاحا: جاء المفهوم الاصطلاحي مطابقا لدلالة الانحراف في غالبه. عرف بأنه الانحراف والخروج عن المألوف المتعارف عليه إلى اللامتوقع من التعبير لغايات جمالية، وهو خروج مقصود وخرق لقواعد النحو بغية التأثير في المتلقي من خلال استحداث تأثيرات بلاغية وأسلوبية(10). فيجعل كل إنسان يتميز عن غيره من خلال تصرفه في مستويات الكلام؛ بحيث تتغير القواعد المعيارية الثابتة للغة.

وهو أنواع: العدول الصوتي، العدول النحوي، العدول الصرفي، العدول التركيبي، العدول الدلالي.

إن ألفاظ الخطاب القرآني تم انتقاؤها بإبداع رباني معجز، فيستحيل أن يضجر قارئه، أو أن تتهم صياغة آياته بالتقليد. وقد اتسمت كثير من الآيات بتجاوزها النظام اللغوي المعروف، ولعل جمال وقع كلماته على المسامع، والحرص على اتساق أصواته، هو ما يدفع نحو العدول عن «ألفاظ وقوالب وعن طرائق من

---

8) ينظر، ابن فارس أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: **(مقاييس اللغة)** تح: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .د/ط. 1399هـ- 1979مـ. مادة: (ع، د، ل). ج: 04. ص: 246

9) ابن منظور، المرجع السابق. مادة: (ع، د، ل). ج: 11. ص: 434

10) ينظر، عبد الله خضر حمد: **(العدول في الجملة القرآنية)** دار القلم، بيروت- لبنان. د/ط. د/ت. ص: 15

التركيب اللغوي المعتاد»[11]. ولبيان هذا العدول لا يكفي القارئ معرفته بقواعد اللغة العربية، بل عليه الإلمام بمباحث علوم القرآن والنظر في القراءات، ليحسن تفسير تلك المتعة التي تختلج صدره عندما يصادف كسر النظام الصوتي في القرآن الكريم.

والعدول الصوتي في فواصل آيات الخطاب الدعوي قائم على عدة ظواهر نرصد منها أربعا وهي:

أ- تغيير الحركة

إن ضبط القرآن الكريم وإعجامه قاعدة متبعة، وكل خروج عنها عُدّ قراءة شاذة، لا يعتد بها عبادة لكن يجوز الاحتجاج بها. ومن ذلك قوله تعالى: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾ الروم: ٢ - ٣

في هتين الآيتين قراءتان؛ إحداهما متواترة يُقرأ فيها ببناء "غُلبت" للمفعول وبناء "سيَغلبون" للفاعل. والثانية شاذة يبنى فيها الفعل "غَلبت" للفاعل ويبنى "سيُغلبون" للمفعول. وقد نسبت القراءة الشاذة إلى علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وأبي سعيد الخدري، ومن التابعين حسن البصري، وكرداب، وهي قراءة أهل الشام[12].

هذا التغيير في الحركة ليس مجرد ظاهرة صوتية، ولا يتولد عنه تأويلان مختلفان لكلام واحد، فلا تعارض بينهما في الحقيقة. القارئ المتطلع سيعود إلى

---

[11]) محمد الصغير ميسة، (**جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم**) مذكرة ماجستير في الآداب واللغة العربية. كلية الآداب واللغات- جامعة محمد خيضر- بسكرة. سنة: 2012/2011. ص: 97

[12]) ينظر، أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف: (**تفسير البحر المحيط**) تح: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وزكريا عبد المجيد النوني، وأحمد النجولي الجمل. دار الكتب العلمية- بيروت. ط: 03، 2010. ج: 07. ص: 157

أسباب نزول الآيتين، ليقف على معارك حربية بين الفرس والرومان وقعت قبل نزول السورة على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان النصر حليف الفرس. فرح كفار العرب بهزيمة الروم وهم أهل الكتاب وفي هذا بشارة لهم بنصرهم على المسلمين أهل القرآن، فانطلقوا يستفزونهم حتى تملكهم الحزن، وجاءتهم البشرى بانتصار الروم بعد هزيمتهم تلك في بضع سنين قادمة وتم هذا سنة 625م. هذا تحليل القراءة المتواترة "سيَغلبون"، ثم إذا عدلنا من الفتحة إلى الضمة دلت القراءة الشاذة أن الروم بعد أن ينتصروا على الفرس فسيُغلبون في بضع سنين قادمة على يد غير الفرس، وحقق ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك التي لم يلتحم فيها الجيشان[13].

إن العدول عن الحركة في الفاصلة القرآنية جعل كل فاصلة في سياقها تعطي حدثا جديدا لا يتناقض مع الآخر، فلا اعتراض بينهما، إنما فيها من تسلسل الوقائع ما أثبته التاريخ حقيقة.

ب- الزيادة

أقصد بالزيادة هنا الزيادة في المبنى الأصلي للفاصلة، وليس زيادة حرف في القرآن جاز لنا حذفه؛ لأنه لا يؤثر في المعنى. ومن ذلك هاء السكت نحو ما جاءت عليه فواصل سورة الحاقة[14]. في هذه الآيات ترغيب وترهيب ختمت فواصله بياء المتكلم، وألحقت بها هاء السكت لتوافق باقي الفواصل المختومة بهاء ساكنة وقفا منقلبة عن تاء مربوطة نحو: "القاضية"، أو لتوافق هاء الضمير المتصل في "سلطانيه". وهما أصليا الورود. فتم بذلك تحقيق وقع الخطاب في النفس والأذن وامتلاكه لمشاعر المتلقين مع شد انتباههم. فكانت هاء السكت الخيار الأمثل للتعبير عن مشاهد يوم القيامة في سياق الدعوة، ليقف المتلقي أمام هذه

13) ينظر، أبو حيان الأندلسي، المرجع نفسه. ص: 156- 158

14) سورة الحاقة: [19- 29]

الأحداث خاشعا منبهرا، وقد اهتزت أعماقه على وقع الفواصل الحزينة «المنبعثة من أقصى الصدر وأواخر الحلق، فتتقطع الأنفاس وتتهجد العواطف»[15] فيُلامس مع الترغيب المناخ النفسي المطمئن المتفائل، ثم ينتقل إلى جو نفسي آخر متشائم مع الترهيب.

ومن الزيادة ما ورد في سورة الأحزاب في موضعين، وصف الله في الأول حال المسلمين في غزوة الأحزاب فقال: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾[16]. ووصف في الثاني حال الكفار يوم القيامة فقال: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ ﴾[17]. والأصل في هذه الفواصل الفتح مطلقا دون مد الفتحة، لكنه زيد تماشيا مع مقاطع الفواصل الأخر ٦٧

ى المختومة بألف مد العوض المنقلب عن التنوين المنصوب وقفا، فزيدت الألف على النون مراعاة للسياق.

ت- الحذف

من الظواهر الصوتية التي تطرأ على بعض الفواصل القرآنية كذلك ظاهرة حذف الأصوات من أبنية الكلمات في مواضع معينة. ومن هذا الحذف ما جاء في

---

[15]) الصغير محمد حسين علي: **(الصوت اللغوي في القرآن)** دار المؤرخ العربي- بيروت، لبنان. د/ط. د/ت. ج: 01. ص: 153

[16]) [سورة الأحزاب: 10]

[17]) سورة الأحزاب: [66- 67]

سورة الفجر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ٤﴾ [18] حيث أثبت الحجازيون الياء وصلا، وأثبتها ابن كثير ويعقوب وقفا، أما بقية القراء فيقرؤونها بالحذف وصلا ووقفا. وعامة أهل النحو على قول المثبتين بحجة أن لام الفعل المضارع معتل الآخر ثابتة[19]. وأحب الفراء مذهب الحذف لتحقق المشاكلة مع الفواصل الأخرى - ويسميها رؤوس آي- وعدم خروجها عن معهود كلام العرب؛ يحذفون الياء ويكتفون بكسر ما قبلها[20]. ومبنى الفواصل السابقة على الوقف وبقاء ياء "يسري" يفوت التناسق بين الآيات[21]. وفي هذا الحذف تقصير للمد محاكاة لقصر سريان الليل، ومحافظة على نسق قصر الآيات قبلها.

ث- الإبدال

هو أحد التغيرات الصوتية المعتمدة في القرآن الكريم، وهو خاص بالأحرف الصحيحة. نحو قوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢﴾ [22] فلفظة "مصيطر" «مادتها الأصلية (س، ط، ر) حدث فيها عدول صوتي من خلال إبدال السين بالصاد»[23]. والحكمة الإلهية اقتضت مناسبة الصوت للموقف الذي يعبر عنه. الله تعالى في هذه الآيات يوجه خطابه إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليعلمه أن الداعي إليه لا ينبغي أن يكون متسلطا ولا متجبرا،

---

18) [سورة الفجر: 04]

19) ينظر، أحمد محمد البنا: **(اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر)** المسمى: **(منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات)** تح: شعبان محمد اسماعيل. عالم الكتب- بيروت. ط: 01، 1407هـ- 1987م. ج: 02. ص: 207

20) ينظر، الفراء أبو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي: **(معاني القرآن)** تح: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح اسماعيل الشلبي. دار المصرية للنشر والترجمة- مصر. ط: 01. د/ت. ج: 03. ص: 260

21) ينظر، محمد الصغير ميسة، المرجع السابق. ص: 104

22) [سورة الغاشية: 22]

23) محمد الصغير ميسة، المرجع السابق. ص: 99

إنما مهمته تتلخص في الإبلاغ لقوله تعالى : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةً فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ٤٨ ﴾ [24] فلا يجوز له إكراه أحد على الإسلام. والسيطرة والتجبر صفات تتناسب مع حرف الصاد المفخم لذلك عدل عن السين المهموسة الملائمة للرقة والليونة غالبا.[25]

وهناك مثال آخر متداول هو فاصلة "أزّا" أين استبدلت الهاء بالألف فأصل الفاصلة "هزّا". وهما وإن كانا يصدران من المخرج ذاته إلا أن إيحاء كل منهما يختلف من سياق لآخر، كما تختلف بعض صفاتهما ليتميز أحدهما على الآخر؛ حيث إن الهاء صوت رخو مهموس، بينما الهمزة حرف شديد انفجاري. وقد ورد "الهز" في القرآن الكريم على لسان عيسى عليه السلام يكلم أمه:

﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ ﴾[26] حيث استعمل حرف الهاء لأنه في سياق الرأفة واللين، وهو أوفق للتعبير عن امرأة مجهدة بسبب آلام جسمية ونفسية، فقد حملت مريم عليها السلام بلا زواج وقد تمكن منها الحزن، لذلك جاءها الخطاب مطمئنا؛ لأنها لم تكن قادرة على التحريك بشدة. لكن مع الشاهد الذي بين أيدينا ورد الهز في سياق يوحي بالشدة في تركيبٍ فعلي مؤكد بمصد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ٧٣ ﴾[27]

---

[24] [سورة الشورى: 48]

[25] ينظر، محمد الصغير ميسة، المرجع السابق. ص: 100

[26] [سورة مريم: 25]

[27] [سورة مريم: 83]

إن من روائع بين القرآن الكريم ودلائل إعجازه أن الله تعالى استعمل الهاء في سياق اللين والحنان، والهز يستعمل للأشياء المادية الملموسة. وعندما انتقل إلى سياق دلالي مضاد استعمل نفس اللفظ وعدل فيه عن الهاء إلى الألف إيحاء بالقوة والعنف، ليصور لنا شدة هز الشياطين للكافرين بإزعاجهم وإغرائهم بالمعاصي[28]، والأز هو ضم الشيء بعضه إلى بعض[29] ويستعمل للتعبير عن الأشياء المعنوية.

إن للعدول الصوتي أثرا جماليا ودلاليا، تتظافر فيه كل المستويات ليتم تصوير المشهد في أسلوب بديع، تتلقاه الأذن أولا فيُطبع في النفس ويؤثر على الشعور، ثم يرتفع إلى مستوى العقل والإدراك. وأحببت أن أشير إلى أن المشاكلة ليست علة عامة، إذ ليس من العسير على الله أن يأتي بفاصلة أخرى تؤدي المعنى ذاته دون عدول، وحدث ذلك في عدة مواضع نحو سورة الفتح التي جاءت كل فواصلها على وزن "فعيلا" إلا فاصلة "بورا" ولم يراعِ الله المشاكلة وكسر ذلك الاتساق البديع طلبا للمعنى.

المطلب الثاني: التكرار الصوتي

عرف العرب ظاهرة التكرار واتخذوها من محاسن الفصاحة، يقول الجاحظ: «إن الناس لو استغنوا عن التكرير وكفوا مؤنة البحث والتنقير لقل اعتبارهم ومن قل اعتباره قل علمه»[30] فهذه دعوة منه للتمسك بالتكرار لما له من دور في تلاؤم النصوص ووحدتها على المستوى اللغوي والإيقاعي[31]. ومع ذلك

---

[28]) ينظر، الجوهري إسماعيل بن حماد: **(الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية)** تح: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين- بيروت. ط: 04، 1990م. ص: 864

[29]) ينظر، الجوهري، المرجع نفسه. ص: 864

[30]) الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: **(رسائل الجاحظ)** تح: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي- القاهرة. د/ط. 1348هـ- 1964م. ج: 03. ص: 236

[31]) ينظر، محمد الصغير ميسة، المرجع السابق. ص: 82

فالتكرار لا يسلم من الاضطراب لكونه محمودا في مواضع ومذموما في أخرى من كلام البشر؛ لأنه يفضي أحيانا إلى الإطناب؛ لأن مستويات الجمال والبلاغة تتفاوت بين المخاطبين، فقد يفي التكرار بالغرض وقد يقصر.

وقد حافظ القرآن الكريم على هذا الأسلوب الرفيع، فالقارئ للقرآن المتدبر في آياته سيقف على ورود عناصر مماثلة في مواضع مختلفة بإحكام، تأتي حافلة بالدلالات والإيحاءات، مصحوبة بنظام صوتي مطرد. ولقد تصدى المفسرون والبلاغيون لهذه الظاهرة، ببيان جزء من أبعادها ودلالاتها على اختلاف مواقعها[32]. ذلك أن «المعاني أوسع مدى من الألفاظ، وهذا يستدعي إعادة الألفاظ على أوجه مختلفة من الهيئات أو الدلالات المجازية أو الرمزية لاستيفاء المعاني»[33]

وكان للفواصل القرآنية في الخطاب الدعوي نصيب من التكرار الصوتي الذي لا يخلو من النكت الدلالية نحو: التجسيم، والتصوير، والتهويل، والترغيب والترهيب. فهو من دون ريب إذا وظف في القرآن جاء على وجه التأكيد، وللدلالة على عظمة المعنى الذي جُعل من أجله. وسأحاول تسليط الضوء على هذه الظاهرة من خلال جملة من الآيات:

أ- تكرار حركة الروي[34]

لا تلتزم أغلب الفواصل القرآنية نفس الحرف الأخير، ومع ذلك نجدها تأخذ بألباب المتلقين وسمعهم، على نحو ما نجده في سورة الكهف قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ

---

[32]) ينظر، دفة بلقاسم، **(نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم - دراسة دلالية -)** مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة محمد خيضر- بسكرة، الجزائر. كلية الآداب والعلوم الانسانية. جوان 2009. ص: 20

[33]) عز الدين علي السيد: **(التكرير بين المثير والتأثير)** عالم الكتب. ط: 02، 1407هـ- 1987مـ ص: 07

[34]) لا أقصد بحرف الروي تشبيه القرآن الكريم بالشعر، فلله المثل الأعلى، إنما استعملته لتقريب الصورة إلى ذهن القارئ.

لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ۝٣ ﴾[35] فهي من مطلعها إلى ختامها تشهد تنوعا في حروف الروي، وهذه الحروف تختلف في المخرج والصفة، لكنها التزمت حركة الفتح والوزن العروضي[36] على مدى 110 آية. ما أعطى الخطاب المصحوب بالقصص نظاما صوتيا مقفى، ألفته أسماع العرب في موسيقى أشعارهم وسجع خطبهم، فكان أكثر إثارة لاهتمامهم لترنم سمعهم به، وذلك راجع إلى قدرة الفتحة على «تغطية اختلاف حروف الروي في المخارج والصفات»[37] من جهة و«وفرتها التي تأتي بعد وفرة الوقف على السكون على حين تندر حركات الضم والكسر»[38] فكانت الخيار الأمثل لهذا الخطاب الدعوي القصصي لتحافظ على انتباه المتلقين.

ب- تكرار حرف الروي

نجد في القرآن الكريم إحدى عشرة سورة[39] التزمت نفس حرف الروي في جميع فواصلها على نسق واحد. كما نجد سورا أخرى التزمت ذلك في مقاطع معينة، ويتغير بتغير نوع الخطاب، وذلك نحو قوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ

---

[35]) سورة الكهف: [01- 03]

[36]) ينظر، محمد الحسناوي، (**الفاصلة في القرآن**). دار عمار للنشر والتوزيع- عمان، الأردن. ط: 02، 1421هـ - 2000م. ص: 271

[37]) محمد الحسناوي، المرجع نفسه. ص: 273

[38]) محمد الحسناوي، المرجع نفسه. ص: 273

[39]) سورة القمر، وسورة القدر، وسورة العصر، وسورة الكوثر، وسورة الأعلى، وسورة الليل، وسورة الشمس، وسورة الإخلاص، وسورة الناس، وسورة المنافقون، وسورة الفيل

وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾ (40). عندما كان الحديث عن المشركين التزمت الآيتين حرف الباء الانفجاري، وفي قلقلته وقفا دلالة على المعصية ثم الإنابة إلى الله، وفي الآية الثانية دلت على تردد المشركين، ثم انتقل الخطاب خالصا للمؤمنين فترك حرف الباء.

ت- تكرار أكثر من حرف

تتعدى الفاصلة في مواضع معينة المحافظة على حرف الروي إلى أكثر من حرف قبله، كقوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴿٤﴾﴾ (41) صحبت الراء الشديدة الكاف المهموسة دلالة على انجلاء الشدة عند حسن الظن بالله.

---

(40) سورة الشورى: [13- 15]

(41) سورة الشرح: [01- 04]

ث- تكرار الفاصلة

تكررت في مطلع سورة الحاقة فاصلة "الحاقة" في آيتين متتاليتين، تجسيدا لهول الموقف، بغية التذكير باليوم الآخر. وتكرار حرف القاف في كليهما يقوي مشهد الشدة في ذلك اليوم ويحكي جبروت الله وعظمته، ويأخذ المد قبله ذهن المتلقي إلى طول ذلك اليوم وشدته.

نستخلص مما سبق أن التكرار الصوتي ذو غرض دلالي، فهو يضيف معنى جديدا في كل موضع، وبعدا إضافيا ما كان ليتحقق دونه. فللتكرار دور بارز في تجسيد أحداث السورة وجوها العام في ذهن المتلقي، مع منحها تناسبا صوتيا تخشع له القلوب، وبالنتيجة يعزز المعنى العام للسورة بتلك المعاني الجزئية التي يضيفها.

الخاتمة:

الحمد لله الذي وفقنا إلى هذا العمل، ومهما بذلنا من جهد نجد أنفسنا مقصرين اتجاه كتاب الله تعالى. وفي الختام يطيب لي أن أعرض عليكم نتائج البحث في النقاط الآتية:

- الفاصلة القرآنية من أعمدة السور، فحظيت باهتمام العلماء والباحثين.
- جمع القرآن الكريم بين حسن الصياغة وبلاغة المعنى والانسجام الصوتي في فواصله.
- يأتي المعنى خادما للفاصلة وليس العكس كما يحدث في الشعر.
- أصوات الفاصلة اختيرت بالدقة التي تؤهلها لمناسبة الجو العام للخطاب؛ فللتهديد استعملت الأصوات الجهيرة للتقريع، وعند الترغيب مثلا استعملت الأصوات المستفالة. فالأصوات تلقي بظلالها على المعنى.
- العدول في الفاصلة القرآنية تجاوز مجرد لفت الانتباه.

ولضيق الحيز الذي أتيح لنا لم نستطع الإلمام بكل جوانب الموضوع لذلك أتقدم بالنصيحة للباحثين ملخصة في النقاط التالية:

-إكمال المشوار الذي انطلقت فيه، والوقوف على أسرار الفاصلة بكل أنواعها.

-بذل مزيد من الجهد بجدية أكبر في الموضوعات المتعلقة بعلوم القرآن؛ فهو نبع فياض لا يبخل من ورده، والأمة اليوم بحاجة إلى من يقرب إليها قرآنها.

-الدراسة لم تتعدى التمثيل لبعض الظواهر من الإعجاز الصوتي، فبإمكان الطلبة دراسة الظواهر المتبقية.